

## الفصل الثالث

أحوال النبي صلى الله  
عليه وآله  
في الحج مع أهله

## أحوال النبي ﷺ في الحج مع أهله

كان النبي ﷺ أرعى الخلق لقريب، وأحناهم على رحم، وأكثرهم إحساناً إلى أهل، شهد المخالطون له ﷺ بذلك، فوصفه واصفهم بأنه ﷺ كان « أبر الناس، وأوصل الناس »<sup>(١)</sup>، وقد كان من أعظم ما وصل به ﷺ أهله، وبر أقاربه به: دعوته إياهم إلى الخير، وحرصه على هدايتهم ونجاتهم من النار، ومن ذلك: وقوفه ﷺ بمكة على الصفا - ينذرهم مغبة الشرك - قائلاً: « يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب: لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم »<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ لعمه أبي طالب - لما حضرته الوفاة -: « أي عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله »<sup>(٣)</sup>.

وفي الحج تجلّى بره ﷺ بأهله، وصلته لرحمه، وإحسانه إلى أقاربه في صور شتى ومشاهد مختلفة، ومن الأهمية بمكان الإشارة - قبل تعداد شيء من ذلك - إلى أن أهل بيت النبوة - رضي الله عنهم - قد شاركوا الناس فيما

(١) صحيح مسلم، رقم: ١٠٧٢، وانظر: صحيح البخاري، رقم: ٣٨١٨، ٤٩٥٤، ٥٩٩٠.

(٢) صحيح مسلم، رقم: ٢٠٥.

(٣) صحيح البخاري، رقم: ٣٨٨٤.

أفادهم به ﷺ، فضلاً عما اختصهم به ﷺ من مزيد حنو ورعاية، ومن دلائل ذلك: قول عائشة - رضي الله عنها - مخاطبة رسول الله ﷺ: «سمعتك تقول لأصحابك ما قلت، فمنعت العمرة»، بل إن التأمل في أمر النسك يجد أن كثيراً من أحكامه منقول عنهم، وذلك لما كان لهم - رضي الله عنهم - من مزيد لصوق به ﷺ واختصاص دون الناس، ولعل من أبرز أحواله ﷺ معهم، ما يلي:

### ١- تعليمهم أحكام النسك:

اهتم النبي ﷺ بتعليم أهل بيته أحكام النسك؛ ليصفو لهم تقرّبهم، وتصح منهم عبادتهم، ومن دلائل ذلك:

ما جاء في حديث أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: أهلوا يا آل محمد بعمرة في حج»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ لعائشة - رضي الله عنها - حين حاضت قبل أن تطوف بالبيت: «افعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت»<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ لأُغَيْلِمَةَ بني عبد المطلب ليلة مزدلفة: «لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس»<sup>(٣)</sup>.

(١) المسند لأحمد، رقم: ٢٦٥٩٠، صحيح ابن حبان، رقم: ٣٩٢٢، وإسنادهما صحيح.

(٢) صحيح مسلم، رقم: ١٢١١.

(٣) جامع الترمذي، رقم: ٨٩٣، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: ٧٠٩.

ولم يكن ﷺ يكتفي في تفقيهمهم بمجرد التوجيه المباشر لهم، بل كان يحاورهم، ويجيب عن أسئلتهم، كما يدل عليه حديث حفصة - رضي الله عنها - : « أن النبي ﷺ أمر أزواجه أن يَحِلْنَ عام حجة الوداع، فقالت له : فما يمنعك ؟ فقال : لبّدت رأسي، وقلّدت هديبي، فلست أحلُّ حتى أنحر هديبي»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: أنها قالت : « ما شأن الناس حلُّوا، ولم تحل من عمرتك ؟... »<sup>(٢)</sup>، وحديث علي - رضي الله عنه - قال : « قال العباس : يا رسول الله، لم لويت عنق ابن عمك ؟، قال : رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليهما »<sup>(٣)</sup>.

وفي وقتنا : نرى في الحج الجهل بمرامي النسك وأحكامه يضرب بأوتاده في أوساط الأهالي؛ نتيجة كون القلة النادرة من الناس - وللأسف الشديد - هم الذين يهتمون بتعليم أهاليهم الأحكام قبل فعلها، ويفقهونهم بحكم النسك ومقاصده، ويجيبون عن استفساراتهم، ويحلون الإشكالات التي لديهم .

فكن من هذا الصنف الفاضل الذي يرفعه عمله هذا عند ربه، ويجعله من خير الناس، كما قال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم

(١) صحيح البخاري، رقم : ٤٣٩٨ .

(٢) صحيح مسلم، رقم : ١٢٢٨ .

(٣) جامع الترمذي، رقم : ٨٨٥، وقال حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم : ٧٠٢ .

لأهلي»<sup>(١)</sup>، وقم بالأمر على وجهه، فإنك مؤتمن على أهلِكَ، وراع لهم، وكل راع مسؤول بين يدي مولاة عما استرعاه، كما قال ﷺ: «كلكم راع فمسئول عن رعيته...، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم»<sup>(٢)</sup>، ولك أسوة حسنة برسول الله ﷺ الذي بدأ ببنذارة أهله وتعليمهم قبل الناس، امتثالاً لأمر ربه - عز وجل - في قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] .

## ٢- إشغالهم بأمر النُّسك قبل الخروج له:

أشغل النبي ﷺ أهله بأمر النُّسك قبل خروجه إلى الموسم، ومن دلائل ذلك: قول عائشة - رضي الله عنها -: «فَسَلَّتُ لَهْدِي النَّبِيَّ ﷺ - تعني: القلائد - قبل أن يحرم»<sup>(٣)</sup>.

فما أحرى بك أن تهتدي بالنبي ﷺ في ذلك: فتشغل نفسك وأهل بيتك بأمر النُّسك، وتعلق قلبك وقلوبهم به، قبل السفر إلى مواضعه، عزماً على أدائه، وتأملاً في مقاصده، وتفقهاً في أحكامه، وتعرفاً على فضائله وثواب منساكه، وتعلماً لأدابه، وتصوراً لمشاقه، وإعداداً لمتطلباته، وعملاً بما

(١) جامع الترمذي، رقم: ٣٨٩٥، وقال حسن غريب صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٥٧.

(٢) صحيح البخاري، رقم: ٢٥٥٣.

(٣) صحيح البخاري، رقم: ١٧٠٤.

يستحب للعازم عليه قبل رحيله؛ فإن ذلك مما يعين العبد على بر الحج، وأدائه له على وجهه .

### ٣- الحرص على براءة ذمهم:

أوجب الله - تعالى - حج بيته الحرام على القادرين من عباده فقال - عز وجل -: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، ولذا فلا تزال ذمة المستطيع له مشغولة به، ولا تبرأ إلا بأدائه .

ومن تأمل في سيرته ﷺ في الحج شاهد بجلاء حرصه ﷺ على براءة ذم أهل بيته، وحُلُوها من الانشغال بعهدة هذا الواجب العظيم، والشواهد الدالة على ذلك عديدة، منها:

اصطحابه ﷺ في خروجه للحج جميع زوجاته التسع رضي الله عنهن<sup>(١)</sup>.

ومنها: خروجه ﷺ بضعفة أهله معه<sup>(٢)</sup>.

ومنها: تحريضه ﷺ لآل بيته - حتى المريض منهم - على المسارعة بأداء النسك، ومن ذلك: أنه ﷺ دخل على ابنة عمه: ضباعة بنت الزبير -

(١) انظر: سنن أبي داود، رقم: ١٧٢٢، وصحح الحديث الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٥١٥، زاد المعاد لابن القيم: ١٠٦/٢، السيرة النبوية لابن كثير: ٤/٢٢٢ واللذان نصا على أن كل زوجاته ﷺ خرجن معه .

(٢) انظر: صحيح البخاري، رقم: ١٦٧٨، ١٦٨٠، صحيح مسلم، رقم: ١٢٩٣ .

رضي الله عنها - وهي عليلة، فقال لها: «ما يمنعك يا عَمَّتاه من الحج؟» فقالت: أنا امرأة سقيمة، وأنا أخاف الحبس. قال: فأحرمي، واشترطي أن محلك حيث حُبِسْتِ»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: أنه ﷺ قال: «أما تريدن الحج هذا العام؟!...»<sup>(٢)</sup>.

واليوم نرى كثيراً من كبار السن والنساء القادرات على الحج لم يؤديوا فريضة الله مع قدرتهم على ذلك، فبادر - إن نَعَمَّكَ ربك - بالإحسان إليهم، بأخذهم للحج، فإن الآفات قد تمنع، والعوارض قد تعوق، والدنيا لا تثبت لأحد على حال، والنبي ﷺ قد حث على التعجل في أداء النُّسك، فقال: «من أراد الحج فليتعجل؛ فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية قال ﷺ: «تعجلوا إلى الحج - يعني: الفريضة -؛ فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له»<sup>(٤)</sup>.

وأنت على فعلك مثاب مأجور، كما يدل لذلك قوله ﷺ للمرأة التي رفعت له صبياً، وقالت: ألهذا حج؟: «نعم، ولك أجر»<sup>(٥)</sup>، بل الثواب هنا

(١) صحيح البخاري، رقم: ٥٠٨٩، سنن ابن ماجه، رقم: ٢٩٣٦، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٣٧٥، واللفظ له.

(٢) سنن ابن ماجه، رقم: ٢٩٣٧، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٣٧٦.

(٣) سنن ابن ماجه، رقم: ٢٨٨٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٣٣١.

(٤) المسند لأحمد، رقم: ٢٨٦٨، وهو حديث حسن لغيره.

(٥) صحيح مسلم، رقم: ١٣٣٦.

أعظم؛ لأن حَجَّكَ بأهلك فرض، وحج المرأة بالصبي ليس بفرض، والله أعلم.

#### ٤ - تشجيعهم على الخير:

كان النبي ﷺ يحث آل بيته - رضي الله عنهم - على فعل الطاعات، ويشجعهم على التزود من الخيرات، ومن ذلك: أنه حين مرَّ على بني عمومته، وهم ينزعون الماء من بئر زمزم ويسقون الناس، خاطبهم قائلاً: «انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقائكم لنزعت معكم»<sup>(١)</sup>، وفي رواية أنه ﷺ قال لهم: «اعملوا؛ فإنكم على عمل صالح، لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه - يعني: عاتقه -»<sup>(٢)</sup>، بل إنه ﷺ كان ييسر لهم ذلك، ومنه: إذنه لعمة العباس - رضي الله عنه - البيستوتة بمكة ليلالي أيام التشريق من أجل سقائته الحجيج<sup>(٣)</sup>.

والحج بوابة للإحسان، وموسم للخيرات، وأعداد الضعفاء والمساكين فيه غفيرة، فإن أردت أن تتضاعف حسناتك، وتثقل موازينك بأعمال غيرك، وأن تحسن إلى الحجيج، وتربي أهل بيتك على القربات؛ فدلِّهم على

(١) صحيح مسلم، رقم: ١٢١٨.

(٢) صحيح البخاري، رقم: ١٦٣٦.

(٣) صحيح البخاري، رقم: ١٧٤٥.

الخير، ويسره عليهم، وشجعهم على الإحسان إلى المحتاجين، فقد قال النبي ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ لرجل دل آخر على من يحمله: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أنه ﷺ قال: «إن الدال على الخير كفاعله»<sup>(٣)</sup>، وإياك أن ترغبهم في ضلالة، أو توصيهم بذنوب، أو تيسر عليهم منكر، فقد حذرنا من ذلك النبي ﷺ فقال: «ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»<sup>(٤)</sup>.

#### ٥- الاستعانة بهم:

استعان النبي ﷺ بآل بيته - رضي الله عنهم -، واستنابهم واستعملهم في بعض أمره، ومن شواهد ذلك:

جعل ﷺ زوجته عائشة - رضي الله عنها - تفتل له قلائد بُدنه من صوف - كان عندها بالمدينة - قبل أن يحرم<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح مسلم، رقم: ٢٦٧٤.

(٢) صحيح مسلم، رقم: ١٨٩٣.

(٣) جامع الترمذي، رقم: ٢٦٧٠، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢١٥١: حسن صحيح.

(٤) صحيح مسلم، رقم: ٢٦٧٤.

(٥) انظر: صحيح البخاري، رقم: ١٦٩٦، ١٧٠٤، ١٧٠٥.

ومنها: ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: « قال رسول الله ﷺ غداة العقبة - وهو على ناقته -: أَلْقَطُ لِي حَصِي . فلقطت له سبع حصيات »<sup>(١)</sup>.

ومنها: إعطاؤه ﷺ لعلي - رضي الله عنه - ما بقي من بُدْنِهِ لينحرها<sup>(٢)</sup>، وأمره ﷺ له بأن يقوم على بُدْنِهِ، وبأن يتصدق على الناس بلحومها وجلودها وأجلتها<sup>(٣)</sup>.

ومنها: استسقاؤه ﷺ من بني عمه حين جاء إليهم، وهم يسقون الناس من زمزم، فقال لعمه العباس - رضي الله عنه -: « اسقني . فشرب منه »<sup>(٤)</sup>، ويدل عليه - أيضا - حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: « سقيت رسول الله ﷺ من زمزم، فشرب وهو قائم »<sup>(٥)</sup>.

ومنها: تطيب عائشة له ﷺ للحلّ والإحرام بذريعة<sup>(٦)</sup> وطيب فيه مسك في بُدْنِهِ ورأسه، وكان ذلك أطيب ما وجدت، إذ كانت - رضي الله

(١) سنن ابن ماجه، رقم: ٣٠٢٩، وصحح الحديث الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٤٥٥.

(٢) انظر: سنن ابن ماجه رقم: ٣٠٧٤، وصححه الحديث الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٤٩٤.

(٣) انظر: صحيح البخاري، رقم: ١٧١٨، ٢٢٩٩، صحيح مسلم، رقم: ١٣١٧.

(٤) صحيح البخاري، رقم: ١٦٣٥.

(٥) صحيح البخاري، رقم: ١٦٣٧.

(٦) فتات قصب طيب، يجاء به من الهند، انظر: شرح النووي على مسلم: ١٠٠/٨.

عنها - تقول: « طيبت رسول الله ﷺ بيدي هاتين حين أحرم، ولحله حين أحل قبل أن يطوف - وبسّطت يديها - » (١).

فيا من ينشد المعين البعيد مهملًا القريب .. هذا هدي نبيك ﷺ، وتلك سنة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قبله، انظر إلى موسى - عليه السلام - يسأل ربه قائلاً: ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ (٢٩) هَرُونَ أَخِي ﴿ ٣٠ ﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿ ٣١ ﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿ ٣٢ ﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿ ٣٣ ﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿ طه : ٢٩ - ٣٤ ﴾ ولوط - عليه السلام - لما أنه عجز عن دفع أذى قومه تمنى قرابة تحميه، فقال: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود : ٨٠]، ذلكم أقرب إلى الفطرة، وأسرع في إنجاز العمل وبلوغ الغاية .. من إهمال القرابة، وحرمانهم بركة الإسهام في الخير والعون عليه، فيعطل ذلك الاستفادة منهم، ويحرم الداعية نفسه بذلك من خير كثير.

## ٦- وقايتهم من الفتن:

الفتن مفسدات للقلوب، مزيغات للألباب، وحين تجتمع الجموع العظيمة من الذكور والإناث تكون الفرصة مهيأة لحصولها، وبخاصة فتنة النساء، ولذا نجد النبي ﷺ يخاف على آل بيته - رضي الله عنهم - في الحج، ويحرص ﷺ على حمايتهم منها وعدم تعرضهم لها.

(١) صحيح البخاري، رقم: ١٧٥٤، وانظر، رقم: ٥٩٣٠، صحيح مسلم، رقم: ١١٨٩.

ومن الشواهد الدالة على ذلك :

لِيَهُ ﷺ لعنق الفضل بن العباس - رضي الله عنهما - حين أخذ ينظر إلى الفتاة الخنعمية، خوفاً من أن يفتن الشيطان قلبيهما، كما جاء في حديث علي - رضي الله عنه - قال: « قال العباس: يا رسول الله، لِمَ لويت عنق ابن عمك؟ » قال: رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليهما»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «إني رأيت غلاماً شاباً، وجارية شابة فخشيت عليهما الشيطان»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: إسدال نساءه ﷺ بحضرتة للجلابيب على وجوههن، وهن محرمات عند محاذات الرجال لهن، فإذا جاوزوهن كشفن<sup>(٣)</sup>.

ومنها: توجيهه ﷺ لنسائه بعدم مخالطة الرجال في الطواف مع أنهم - رضي الله عنهم - كن يطفن معهم، كما يدل لذلك قوله ﷺ لأُم سلمة - رضي الله عنها - حين اشتكت إليه أنها شاكية: «طوفي من وراء

(١) جامع الترمذي، رقم: ٨٨٥، وقال حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: ٧٠٢.

(٢) المسند لأحمد، رقم: ٥٦٤، وإسناده حسن.

(٣) سنن أبي داود، رقم: ١٨٣٣، وفي سننه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف، ولكن للحديث شواهد يقوى بها، منها: قول أسماء - رضي الله عنها - عند ابن خزيمة، رقم: ٢٦٩٠، بسند صحيح، قالت: « كنا نغطي وجوهنا من الرجال »، وانظر: ما سطره الأرنؤوط في حاشية جامع الأصول على الحديث رقم: ١٣٠٤، ١٣٠٥. ويلاحظ أن هذا لا يخص نساء النبي ﷺ، فهذه أسماء - رضي الله عنها - ليست منهن وإذا ظن اختصاصهن بشيء من أمر الحجاب، فغيرهن من باب أولى.

الناس وأنت راكبة»<sup>(١)</sup>، وفي رواية أنه ﷺ قال لها: «إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك، والناس يصلون. ففعلت، ولم تصل حتى خرجت»<sup>(٢)</sup>، وكما يفهم ذلك من حديث ابن جريج قال: «أخبرني عطاء إذ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال، قال: كيف يمنعهن، وقد طاف نساء النبي ﷺ مع الرجال، قلت: أبعد الحجاب أو قبل؟ قال: إي لعمري لقد أدركته بعد الحجاب، قلت: كيف يخالطن الرجال؟، قال: لم يكن يخالطن، كانت عائشة - رضي الله عنها - تطوف حَجْرَةَ من الرجال<sup>(٣)</sup> لا تخالطهم، فقالت امرأة: انطلقني نستلم يا أم المؤمنين؟ قالت: عنك. وأبت، فكن يخرجن متنكرات بالليل فيطفن مع الرجال، ولكنهن كن إذا دخلن البيت قمن حتى يدخلن وأخرج الرجال، وكنت آتي عائشة أنا وعبيد بن عمير، وهي مجاورة في جوف ثبير، قلت: وما حجابها؟ قال: هي في قبة تركية، لها غشاء، وما بيننا وبينها غير ذلك، ورأيت عليها درعاً مورداً»<sup>(٤)</sup>، وفي رواية: قال: «وقد رأيت عليها درعاً معصفاً، وأنا صبي»<sup>(٥)</sup>، ويفهم - أيضاً - من قول عائشة - رضي الله عنها - لمولاة لها

(١) صحيح البخاري، رقم: ١٦١٩.

(٢) صحيح البخاري، رقم: ١٦٢٦.

(٣) معنى تطوف حَجْرَةَ من الرجال: أي تطوف في ناحية، منعزلة عن الرجال منفردة عنهم، انظر: النهاية لابن الأثير: ٣٤٢/١، فتح الباري لابن حجر: ٥٩٦/٣.

(٤) صحيح البخاري، رقم: ١٦١٨.

(٥) مصنف عبد الرزاق، رقم: ٩٠١٨.

طافت بالبيت سبعاً واستلمت الركن مرتين أو ثلاثاً: « لا أجرك الله، لا أجرك الله، تدافعين الرجال، ألا كبرت ومررت»<sup>(١)</sup>، إذ ما كان لها - رضي الله عنها - وهي زوج رسول الله ﷺ أن تترك أمراً أمر به رسول الله ﷺ، أو تنهى عن شيء فُعل بين يديه .

**ومنها:** عدم تشريعه ﷺ لهن الرمل بالبيت، والسعي الشديد في بطن المسيل بين الصفا والمروة، كما يفهم ذلك من قول عائشة - رضي الله عنها -: « يا معشر النساء، ليس عليكم رمل بالبيت، لكنَّ فينا أسوة»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «أليس لكنَّ بنا أسوة؟! ليس عليكم رمل بالبيت ولا بين الصفا والمروة»<sup>(٣)</sup>.

**ومنها:** توجيهه ﷺ لزوجاته - رضي الله عنهن - بلزوم بيوتهن بعد حجتهن معه، إذ قال ﷺ في حجة الوداع مخاطباً إياهن: « هذه ثم ظهور الحُصْر»<sup>(٤)</sup>.

**وفي الحج - نتيجة الجهل والزحام - تتهياً الفرصة لفئة من ضعاف النفوس لممارسة بعض المنكرات، مما يحتم على كل ولي رشيد أن يتقي الله في أهل**

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ٨١/٥ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي: ٨٤/٥ .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، رقم: ١٢٩٥١ .

(٤) سنن أبي داود، رقم: ١٧٢١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٥١٥ .

بيته، وأن يحافظ عليهم ويحميهم من بعض من لم يستحيي من الله، ويقدره حق قدره في تلك البقاع المباركة، حتى لو أدى به الأمر إلى ترك بعض مستحبات الأنساك المكانية أو الزمانية؛ إذ درء المفسد مقدم على جلب المصالح، وقيام الولي بذلك من تمام حفظه لرعيته، وقد قال النبي ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»<sup>(١)</sup>.

#### ٧- نهيه عن المنكر:

حرص النبي ﷺ على تنقية آل بيته - رضي الله عنهم - من المعاصي، وتصفيتهم من المنكرات، فكان إذا وقع أحدهم في منكر أنكر عليه، وصرفه عنه، ومن ذلك:

إنكاره ﷺ العملي على الفضل بن العباس - رضي الله عنهما - النظر إلى المرأة الخثعمية التي جاءت تسأل النبي ﷺ ومنعه له من معاودة النظر<sup>(٢)</sup>.  
ومنها: إنكاره ﷺ أيضاً على الفضل النظر إلى طُعن كن يجرين فطفق ينظر إليهن<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح مسلم، رقم: ١٤٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري، رقم: ١٥١٣.

(٣) انظر: صحيح مسلم، رقم: ١٢١٨.

ومنها: جعله ﷺ من آل بيته - في هذا الجانب - قدوة للناس، ومضرب مثل لهم، ومن ذلك حين قام ﷺ خطيباً في الناس بعرفة، فقال: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع: من دمائنا: دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع: ربانا: ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله».

وفي وقتنا: تتفشى في موسم الحج - في أوساط طائفة من الأهالي - كثير من الأعمال المفارقة لهدي النبي ﷺ في النسك، والتي قد تبطل الحج أو تقدرح في كماله، وتنتشر بينها كثير من المعاصي والمنكرات، وبخاصة منكرات النساء من تبرج وسفور ومخالطة لمن لا يحل... ونحو ذلك.

فرحم الله عبداً قام بالأمانة كما يجب، فصرف أهل بيته عن موقعة الذنوب، وأمرهم بالمعروف، وأزال ما لديهم من منكر.

#### ٨- الرفق بهم والتيسير عليهم:

كان النبي ﷺ في الحج رفيقاً بآل بيته، رحيماً بهم، يحن على ضعيفهم، ويختار الأيسر لهم، ويعطف على صاحب الحاجة منهم ويخفف عنه، والشواهد الدالة على ذلك عديدة، منها:

اختياره ﷺ الأيسر لزوجاته، وأمرهن به، كما يدل لذلك حديث حفصة - رضي الله عنها -: « أن النبي ﷺ أمر أزواجه أن يحلن عام حجة الوداع »<sup>(١)</sup>.

ومنها: قوله ﷺ لما دخل على ضباعة بنت الزبير - رضي الله عنها - وهي وجعسة: « حسبي واشتسرطي، وقسولي: اللهم مسحلي حسيث حبستني »<sup>(٢)</sup>.

ومنها: تقديمه ﷺ لضعفة أهله في النفرة من مزدلفة، كما في حديث الفضل بن العباس - رضي الله عنهما -: « أن النبي ﷺ أمر ضَعَفَةَ بني هاشم أن ينفروا من جمع بليل »<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ما جاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: « نزلنا المزدلفة، فاستأذنت النبي ﷺ سودة أن تدفع قبل حُطْمَةِ الناس، وكانت امرأة بطيئة، فأذن لها، فدفعت قبل حُطْمَةِ الناس، وأقمنا حتى أصبحنا، ثم دفعنا بدفعه »<sup>(٤)</sup>، وحديث ابن شؤال أنه دخل على أم حبيبة - رضي الله

(١) صحيح البخاري، رقم: ٤٣٩٨.

(٢) صحيح البخاري، رقم: ٥٠٨٩.

(٣) سنن النسائي، رقم: ٣٠٣٤، وقال الألباني في صحيح النسائي، رقم: ٢٨٤٠: حسن صحيح الإسناد، وانظر: صحيح البخاري، رقم: ١٦٧٨.

(٤) صحيح البخاري، رقم: ١٦٨١، والحُطْمَةُ: من يكثر منه الحُطْمُ، ومنه سميت النار الحُطْمَةُ؛ لأنها تحطيم كل شيء، والمراد هنا: قبل أن يزدحم الناس ويدوس بعضهم بعضاً، انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ١/٤٠٣، لسان العرب لابن منظور، مادة (حطم).

عنها - فأخبرته أن النبي ﷺ بعث بها من جمع بليل<sup>(١)</sup>.  
ومنها: قوله ﷺ لزوجه أم سلمة - رضي الله عنها - لما اشتكت إليه أنها تشتكي: «طوفي من وراء الناس، وأنت راكبة»<sup>(٢)</sup>.  
ومنها: إذنه ﷺ لعمه العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - أن يبيت بمكة ليالي منى؛ من أجل سقايته<sup>(٣)</sup>.  
فإذا كان الحجيج معه ﷺ قليلي العدد جداً مقارنة بأعداد اليوم، وهم - مع ذلك - أتقى هذه الأمة وأرفقها، وأكثرها وقاراً وسكينة، ورفق ﷺ بأهله هذا الرفق، ويسر عليهم هذا التيسير، فحاجة الأهالي - من كبار سن ونساء وأطفال - إلى الرفق والتيسير في زماننا من باب أولى؛ إذ - مع تضاعف الأعداد - عظم الجهل، وحج البيت أناس كثير ضعفت خشيتهم لله، وندر رفقهم بالآخرين، فاتق الله - تعالى - في أهلك، واختر الأيسر عليهم، والأخف في حقهم - في ظل ضوابط الشرع وأحكامه -؛ فإن ذلك خير لك، وأرجى لعظم مثوبتك .

#### ٩- الصبر عليهم:

إثبات صبره ﷺ في الحج على آل بيته - رضي الله عنهم - لا يحتاج

(١) صحيح مسلم، رقم: ١٢٩٢ .

(٢) صحيح البخاري، رقم: ٤٦٤ .

(٣) صحيح البخاري، رقم: ١٦٣٤ .

إلى كبير عناء، وإمعان فكر، وتدقيق نظر؛ إذ كان ﷺ معلماً لهم وقائماً بشؤونهم في وقت واحد، وكان في أهله من كبر سنه وثقل كزوجيه سودة<sup>(١)</sup>، والمريض الشاكي كضباعة<sup>(٢)</sup> وأم سلمة<sup>(٣)</sup>، وكثير من النساء كابنته فاطمة<sup>(٤)</sup> وجميع زوجاته<sup>(٥)</sup>، وغلمان بني عبد المطلب وبني هاشم<sup>(٦)</sup>، فما رئي صبر كصبره، ولا من هو أكثر احتمالاً لأهله منه؛ إذ وجّه وأرشد<sup>(٧)</sup>، ورحم ورفق<sup>(٨)</sup>، وأحسسن وأنفق<sup>(٩)</sup>، وراعى وواسى<sup>(١٠)</sup>، وفاكسه ولاطف<sup>(١١)</sup>، وصال الحسقوق<sup>(١٢)</sup> وشجّع على الخير<sup>(١٣)</sup>، ودبر شأنهم أحسن تدبير، وقام بالأمر خير قيام، كل ذلك بنفس

(١) صحيح البخاري، رقم: ١٦٨١.

(٢) صحيح البخاري، رقم: ٥٠٨٩.

(٣) صحيح البخاري، رقم: ٤٦٤.

(٤) صحيح مسلم، رقم: ١٢١٨.

(٥) انظر: زاد المعاد لابن القيم: ١٠٦/٢، السيرة النبوية لابن كثير: ٢٢٢/٤.

(٦) المسند لأحمد، رقم: ٣٥١٣، وإسناده صحيح.

(٧) انظر على سبيل المثال: صحيح مسلم، رقم: ١٢١١، المسند لأحمد، رقم: ٢٦٥٩٠، وسنده

صحيح.

(٨) انظر على سبيل المثال: صحيح البخاري، رقم: ٤٣٩٨، ١٦٧٨.

(٩) انظر على سبيل المثال: صحيح البخاري، رقم: ١٥٤٤، ٥٥٤٨.

(١٠) انظر على سبيل المثال: صحيح البخاري، رقم: ١٧٨٨، صحيح مسلم، رقم: ١٢١١.

(١١) انظر على سبيل المثال: المسند لأحمد، رقم: ٢٥٠٧، وإسناده صحيح.

(١٢) انظر على سبيل المثال: صحيح البخاري، رقم: ١٦٣٦.

(١٣) انظر على سبيل المثال: صحيح مسلم، رقم: ١٢١٨.

منبسطة وصدر منشرح، ودون أن يسمع منه ﷺ لفظ نابٍ، أو يصدر منه منةٌ أو أذى .

فيا لله . . تلك الشمائل الحمديّة، والأخلاق القرآنيّة، التي تنبئ عن عظمة بشرية، ونفس كبيرة رضيّة .

الصبر على الأهل مهمة شاقة، وعمل جليل لا يطيقه إلا الكبار، ولا يحتمله إلا الرجال، ذلك أن المخالطة اليومية ودوام المعاشرة يرفع الكلفة ويزيل الهيبة - غالباً - فيحتاج الرجل إلى قدر مضاعف من الصبر والاحتمال؛ ليضبط الأمور ويصل إلى مبتغاه، وبخاصة في هذا الموسم العظيم التي يزداد فيه العدد وتعظم المشقة وتشتد .

فهل من مرید للأجر، راج للأخرة . . يلزم نفسه بالصبر الجميل على أهله وولده وقرابته، ويطرق بوابة الإمامة والرفعة والريادة، كما يدل لذلك قوله - تعالى - : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] . وذلك طريق محبة الله وتأيينه كما قال - سبحانه - : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦] وكما قال - عز وجل - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣] ، كما أنه سبيل ألفة، ونافذة لمزيد مودة .

### ١٠- مراعاتهم ومواساتهم:

كان النبي ﷺ يراعي خواطر أهله، فيفعل ما يريدون إذا كان الأمر لا يعارض مراد الله - تعالى -، ويواسي أقاربه حين كان الأمر يقع على خلاف ما يشتهون، وأبرز ما كان هذا الأمر في الحج: مع زوجته عائشة - رضي الله عنها -، وذلك حين دخل عليها وهي تبكي؛ لأنها منعت العمرة المفردة بسبب الحيض، فواساها ﷺ وأخذ بخاطرهما قائلاً: «فلا يضرك، أنت من بنات آدم، كتب الله عليك ما كتب عليهن، فكوني في حجك عسى الله أن يرزقكها»<sup>(١)</sup>، وحين قالت - رضي الله عنها - «يا رسول الله، أترجع صواحيبي بحج وعمرة وأرجع أنا بالحج؟ فأمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن أبي بكر، فذهب بها إلى التنعيم، فلبت بالعمرة»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أنه ﷺ قال لها: «يسعك طوافك لحجك وعمرتك. فأبت، فبعث بها مع عبد الرحمن إلى التنعيم فاعتمرت بعد الحج»<sup>(٣)</sup>.

فمن يا ترى يفعل اليوم بأهله في الحج كفعله ﷺ، ويأخذ بهديه في التعامل معهم؟! إن غالب الناس اليوم في هذا السبيل بين إفراط وتفريط، على فئتين:

إحداهما: قدمت مرادات أهلها وشهواتهم على مرادات الله - تعالى -.

(١) صحيح البخاري، رقم: ١٧٨٨، وانظر: صحيح مسلم، رقم: ١٢١١.

(٢) صحيح البخاري، رقم: ١٥٦١، صحيح مسلم، رقم: ١٢١١، سنن أبي داود، رقم: ١٧٨٢، وسنده صحيح، واللفظ له.

(٣) صحيح مسلم، رقم: ١٢١١.

ومحوباته، فتجاوزت لذلك حدود الله، وانتهكت حرماته .

وأخراهما: سيئة الخلق مع أهلها، عابسة الوجه، قاطبة الجبين، ليس في قاموسها ما يُعرَف بأخذ وعطاء، أو حوار واستشارة، أو مواساة ومراعاة للخواطر، بل العلاقة قائمة بينهم على الأمر والنهي بفضاظة وغلظة، والمطالبة السريعة بالتنفيذ دون انتظار أو قبول اعتذار .

ودين الله - تعالى - وسط بين الغالي والجافي؛ فهو يدعو إلى مراعاة الأهل، ويحث على الأخذ بخواطرهم شريطة أن لا يكون في ذلك انتهاك لحرمت الله وتجاوز لحدوده، فالزم ذلك تسعد، وعليك به تفلح .

### ١١ - التلطف معهم:

كان النبي ﷺ في الحج جميل العشرة، حسن المنطق، يتودد إلى أهله، ويتلطف معهم، ويباسط صبيانهم ويداعبهم، يقول جابر - رضي الله عنه - واصفاً إياه حين أهلك أهل ﷺ بحج، وأهلت عائشة - رضي الله عنها - بعمرة: « وكان رسول الله ﷺ رجلاً سهلاً، إذا هويت الشيء تابعها عليه » (١)، والشواهد على ذلك عديدة، منها:

قوله ﷺ لابنة عمه الزبير: ضباعة - رضي الله عنها -: « ما يمنعك يا

(١) صحيح مسلم، رقم: ١٢١٣ .

عمته من الحج؟!»<sup>(١)</sup>.

ومنها: قوله ﷺ لعائشة - رضي الله عنها - حين حاضت فدخل عليها وهي تبكي: «ما يبكيك يا هنتاه؟!»<sup>(٢)</sup>. ومنها: ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدمنا رسول الله ﷺ أُعْيِلِمَةَ بني عبد المطلب على حُمُرَاتٍ لنا من جَمْعٍ، فجعل يَلْطَحُ أفخاذنا، ويقول: أُبَيِّنِي: لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: قال: «فأتانا سواد ضَعْفَى بنى هاشم على حُمُرَاتٍ لهم، فجعل يضرب أفخاذنا، ويقول: يا بَنِيَّ أفيضوا، ولا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس»<sup>(٤)</sup>، وفي أخرى: أنه ﷺ قال: «يا بَنِيَّ أخي، يا بَنِيَّ هاشم: تعجلوا قبل زحام الناس، ولا يرمين أحد منكم العقبة حتى تطلع الشمس»<sup>(٥)</sup>.

فإلى الله المشتكى من قوم هجروا في التعامل مع أهاليهم في الحج هذا الخُلُقَ النبوي الكريم، حتى صار أهالي كثير منهم لا يعرفون منهم في الموسم غير المشاحنة وسوء العشرة، والتحقيق والسخرية، والمن

(١) سنن ابن ماجه، رقم: ٢٩٣٦، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٣٧٥.  
 (٢) صحيح البخاري، رقم: ١٥٦٠، ومعنى يَاهَنْتَاهُ: ياهذه، انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٢٧٩/٥، غريب الحديث لابن الجوزي: ٥٠٢/٢.  
 (٣) سنن ابن ماجه، رقم: ٣٠٢٥، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٤٥١.  
 (٤) المسند لأحمد، رقم: ٢٥٠٧، وإسناده صحيح.  
 (٥) المسند لأحمد، رقم: ٣٥١٣، وإسناده صحيح.

والإساءة، والتضجر والشكوى، والغلظة والفظاظة، بل قد يصل الأمر في أحيان إلى حد السب والشتام.

فحذار ثم حذار أن تحذو حذوهم أو تسير سيرهم؛ فإن ذلك مما يولد الحقد، ويثمر البغضاء، ويفرق القلوب، بل قد ينافي برَّ الحج، ويحجب عنك محور الخطايا، وغفران الله الذنوب.

### ١٢. الإحسان إليهم:

تعددت وجوه إحسانه ﷺ إلى آل بيته وتنوعت بصورة جعلت المتأمل يجزم بأن كل أحواله ﷺ معهم إحسان؛ إذ ما من جانب إلا وأنت راء بأن فضله ﷺ عليهم ظاهر، وجوده عليهم بيّن، ودلائل ذلك فوق الحصر، ومن أوضح ذلك:

حرصه ﷺ على أدائهم للنسك معه، وإقناعه لمن لم يكن ينوي منهم الخروج بالمبادرة إلى ذلك، كما في قصة ضباعة - رضي الله عنها - حين دخل عليها النبي ﷺ فقال لها: «أردت الحج؟ قالت: والله ما أجدني إلا وجعة. فقال لها: حجّي واشترطي وقولي: اللهم محلي حيث حبستني»<sup>(١)</sup>.

ومنها: خروجه ﷺ بجميع نسائه - رضي الله عنهن -<sup>(٢)</sup>، وهو أمر

(١) صحيح البخاري، رقم: ٥٠٨٩، صحيح مسلم، رقم: ١٢٠٧، واللفظ له.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ٢٢٢.

يفوق العدل - كما هو جلي لمن تدبر-؛ إذ كان بوسعه ﷺ أن لا يخرج بواحدة منهن، أو أن يقرع بينهن ويخرج بإحداهن .

ومنها: إردافه ﷺ لابن عمه الفضل - رضي الله عنهما - من مزدلفة إلى منى<sup>(١)</sup> .

ومنها: هديه ﷺ عن نسائه - رضي الله عنهن - إذ ذبح البقر عنهن من غير أمرهن<sup>(٢)</sup> .

وهذا جانب كبير من جوانب الكمال البشري بنص قول النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»<sup>(٣)</sup>. وصور الإحسان لا حصر لها، وأولها: ما كان مقرباً لهم إلى مرضاة الله - عز وجل -، ولذا خصهم الله بالأمر بدعوتهم - مع الأمر العام -، فقال - تعالى -: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فهم أحق الناس بإحسانك الديني والدنيوي، فانهج ذلك تحظ بالأجر الجزيل، وتبصر بركات ذلك عاجلاً وآجلاً.

### ١٣ - حماية حقوقهم:

صان النبي ﷺ حقوق آل بيته - رضي الله عنهم -، وحرص على

(١) انظر: صحيح البخاري، رقم: ١٥٤٤ .

(٢) انظر: صحيح البخاري، رقم: ١٧٠٩ .

(٣) جامع الترمذي، رقم: ٣٨٩٥، وقال حسن غريب صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٥٧ .

حفظها، وعدم تعدي الآخرين عليها، وأبرز ما يتجلى ذلك في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «طاف رسول الله بالبيت، وجعل يستلم الحجر بمحجنه، ثم أتى السقاية بعدما فرغ، وبنو عمه ينزعون منها، فقال: ناولوني. فسرُف له الدلو فشرب، ثم قال: لولا أن الناس يتخذونه نسكاً، ويغلبونكم عليه لنزعت معكم»<sup>(١)</sup>، فإن كان لأهلك في الحج من حق تخشى عليه فحثهم على التنازل عنه وعدم المشاحة فيه طلباً للأجر؛ فإن ذلك أولى وأجدر<sup>(٢)</sup>، فإن أبوا فاحفظه من الضياع، وصنه من اعتداء الآخرين عليه.

هذه بعض جوانب أحواله ﷺ في الحج مع أهل بيته، فإذا علمت أن أهلك من خير رأس مالك فأنت مدعو لأن تعرض حالك في الحج معهم على ما قد عرفت هنا من حاله ﷺ مع أهله؛ ليسبب لك الفرق، ويتضح لك البون، فتجعل من حرصك على التأسى به ﷺ دافعاً لك لتعيد النظر في مدى قيامك بواجبك تجاههم؛ فتهتم بآخرتهم وما ينجيهم من عذاب ربهم فوق اهتمامك بدنياهم وتوفير معاشهم، محسناً تعليمهم، ومعيناً لهم على

(١) صحيح البخاري، رقم: ١٦٣٦، المسند لأحمد، رقم: ٢٢٢٧، وإسناده حسن، واللفظ له.

(٢) وإنما لم يفعل النبي ﷺ مع أهل بيته ذلك؛ لأن السقاية سبيل لأجرهم، وبوابة لرفعتهم، والله أعلم.

حسن أدائهم لنسكهم وعباداتهم وصلاح أخلاقهم، ومعاملاتهم بأجمل من معاملتك لأعز أصحابك؛ لأن حقهم عليك أعظم، وواجبك نحوهم أجل، فشمّر عن ساعد الجد، وانطرح بين يدي مولاك؛ ليعينك على ذلك ويسدد خطاك.

### وأخيراً:

أكرر شكري - بعد شكر المنعم الجليل سبحانه - لكل من مدني برأي أو عون، على أن ما سبق من سطور لا تعدو أن تكون ومضات مشرقة من أحواله ﷺ في الحج، كتبت من مقل على عجل، راجياً من ربي الرحيم المعطي قبولها، والنفع بها؛ لتكون عوناً للسائرين إليه - عز وجل - على حج مبرور وذنوب مغفور، والموضوع أكبر من أن يحيط به مثلي، وهو بحاجة إلى مزيد بحث، وإمعان فكر، وتدقيق نظر، أسأل الله أن يهيئ له من يقوم به على وجهه من أهل العلم، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.